المحاظرة السادسة: تعدد مصادر التوراة وتعدد المذاهب

الجامعة المستنصرية كلية التربية

م د عواد قاسم رسن/الأديان المقارنة

منذ القرن السابع عشر، يتحدث علماء ومفكري اليهود عن ان التوراة الحالية تتكون من عدة روايات، تعود الى روايات متعددة ومختلفة،وهذا يعني انها ليست نتاج كاتب واحد، وهذا الامر اليوم اصبح من المسلمات التي يعترف بها علماء اللاهوت أنفسهم.

مصادر التوراة:

اولا: مصدر يخمل اسم(يهوه) ،يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد، ورواته من الجنوب ممن كان يسمى مملكة يهودا.

ثانيا: مصدر(الوهيم) يعود الى القرن الثامن قبل الميلاد.

ثالثا: مصدر (تثنية الشريعة)كتبت في القرن السابع قبل الميلاد، وإعتبر جزءا من التوراة عام(621) قبل الميلاد

رابعا: مصدر(حواشي الكهنة)وتعود الى القرن الخامس قبل الميلاد، واضيفت الى التوراة في زمن (عزرا)و(نحميا) اي بعد العودة الى السبي البابلي،وهي فترة سيطرة الكهنة والاحبار على اليهود[1].

وهذا التعدد والاختلاف في مصدر تشريع التوراة، يشكّل إشكالية كبيرة على الديانة اليهودية، لعدم وضوح مصدر التشريع، وبالتالي كيف يُعبد ويُعمل بتاليم لم يقطع بمصدرها ومشرعها، وكيف يترتب على تلك التشريعات من أفعال وأحكام وامتثالات من قبل المعتنقين، والحال عدم معرفة المشرع للتوراة.

ومن هنا فان التخبّط في نسبة التوراة الى مصدر معين، وكون ذلك المصدر هو الله تعالى، وما هو سبب التعدد، يفتح باب الطعون والنقد من العلماء والعقلاء، فكيف يكون دينا مع فرض التعدد في المشرع، فمن هو يهوه ومن الوهيم ومن تثنية الشريعة ومن هو حواشي الكهنة، فهل

[1] ـالفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا،ص26.

ترجع الى مصدر واحد أم متعدد، كل ذلك يجعلنا نضع علامات استفهام وان هناك دس وتحريف مقصود، من الحاخامات.

هدف التحريف وأثره:

يشترك الكفار مع المنافقين في طبيعة الموقف،من آيات الله تعالى،وهو الاعراض الواقعي والتكذيب الداخلي،غير ان الكافر يصرح والمنافق يكتم، لكنه يمزق من الداخل،ولعل القران افصح عن اهم مصاديق الكفر والنفاق،وهم اصحاب المصالح والتجارة، قال تعالى(وإذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون)ال عمران187.

وقد ذكر القران احبار اليهود ورهبانهم، كالهة تعبد من دون الله تعالى،(اتخذوا أحبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله)التوبة31.

وهؤلاء الاحبار غيروا سنة النبي وحللوا حرام الله وحرموا حلاله،وفد اشارت اليم التوراة من سفر حزقيال(كهنتها خالفوا شريعتي ونجّسوا مقادسي)وكذلك في سفر ارميا(كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقا انه الى الكذب،حولها قلم الكتبة الكاذب،أما وحي الربّ فلا تذكروه،لان كلمة كل انسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود)كل ذلك يغيّر العبرة الحقيقية،التي ارادها الله تعالى لبني البشر،وإستبدالها بسيرة اخرى تلائم أهواء ومصالح الكهنة المنافقين.

وهنا ينبغي الالتفات الى ان تحريف سيرة الانبياء السلوكية والعقائدية، أخطر من قتل الانبياؤ وإيذائهم،بعد إكمال رسالتهم في التبليغ، لأنّ قتلهم يؤدّي الى بطلان حجتهم، بخلاف تكذيبهم وتحريف سلوكهم،فانه إبطال لحجتهم وعقيدتهم،كما ان هذا التحريف يجعل من اعداء الرسالة أمنائها وحملتها،وأنهم الإمتداد الطبيعي للرسل، فيخضع لهم الناس كخضوعهم للانبياء والرسل،وهذا ما جعل المعروف منكرا والمنكر معروفا، وجعل قدسية للكهنة والاحبار ومشروعية تجعلهم في مأمنٍ دائمٍ من كلام الناس، وإنقياد المجتمع لهم بخلاف الأيات والروايات الصحيحة،التي توجّه الناس الى طاعة الله تعالى وتوحيده، وهذا السبب الذي جعل الاحبار يروجون الى عظمة التلمود أكثر من عظمة التوراة، لانه من وضعهم وصنعهم

الفيلسوف كانت لا يعد اليهودية دينا:

إنطلاقا من كون الوحي والنبوة هدى ورحمة للعالمين،يقول الفيلسوف الشهير كانت، أنّهُ لا بالمعنى العقلي ولا بالمعنى التاريخي ولا باي معنى آخر، ان تكون اليهودية دينا منزلا من

السماء، فالدين عند كانت لابد ان يكون مشتملا على الايمان بالله تعالى بوصفه كائنا اخلاقيا ومنبعا للضمير الانساني، وحريصا على اصلاح النية الاخلاقية للبشر، وأنه ربّ الناس جميعا، وكذلك يشتمل على الايمان بالحياة الآخرة، وعلى مبدء اخلاقي دقيق، وهذا ما لا يتوفر في اليهودية الموجودة حاليا، التي تؤمن بالله بوصفه حاكما زمنيا لشعب مختار،لليهود فقط، وليس ربا لباقي الأمم، لان اليهودية تعتقد انها سيدة الأمم، وجميع الطوائف والشعوب خادمة لهم، لان الرب اختارهم ليكون ربا عليهم، ويخصهم برعايته، أما بقية الشعوب فهي خارجة عن ملكوت الرب، وتدخل في سيطرة الارواح والملائكة، ثم ان هذه الآله لا تامر باصلاح النية الباطنة، وإنما كل ما تؤكد عليه هو الإلتزان الظاهري بالأوامر. كما ان اليهود تفتقر لأهم تصور ديني، لان الأله الذي يرغب فقط في في اطاعة الاوامر التي لا تحسن مطلقا من النية الاخلاقية،كما هو المطلوب في الواقع. وبعد كل هذا ليس هو الكائن الأخلاقي الذي نحتاجه بالضرورة، لتصوره من أجل الدين[2].

كما اذا اعتقدوا ان الإله(يهوه) إله خاص بهم، لم يستطيعوا ان يتصوروا ان مفهوم الإلوهية أكثر إتساعا من أن يكون خاصا بشعب دون شعب آخر، أو بجنس دون جنس آخر، لذا فان اليهودية تفتقر الى مفهوم(رب العالمين)، كما هي لم تسمح بدخول احد من غير جنسهم الى ملتهم،.

الخلاصة: وفق هذا التحليل يرى كانت انه سوف تترتب على اليهودية أمورا، منها انها قوانين ديوية ظاهرية فقط، وتفتقد الى الأخلاق الباطنية، ولا شك ان الوصايا العشر في التوراة،تمتلك قيمة اخلاقية لكنها لم تات من صميم اليهودية، وإنما انتقلت اليه في العصر الهليني وما بعده.

وهنا يمكن ان يطرح سؤالا: إذا لم تكن اليهودية دينا فماذا يمكن ان تكون، والجواب أنها لا تعدو انها دولة سياسية دنيوية لشعب تربطه الروابط العرقية، أمّا ما تدعية الطبقة الكهنوتية اللاهوتية بانها تستمد تعاليمها من الله تعالى، فان هذا الإله لا يأخذون تعاليمهم منه، ويتصورون انه حاكم زمني لا يعمل من خلال ضمير ولا يسيطر على ضمير.

أما ما نقل(كانت)، من ان المسيح اخذ ببعض مبادىء وتشريعات اليهودية، فان ذلك بهدف فتح السبيل أمام انتشار دعوته بين المؤمنين بالدين القديم،إيمانا متعصبا، والواقع ان هذا لم يكن إيمانا باليهودية، بل كان تحاشيا للصدام الحاد معهن، بل يرى كانت ان المسيح نبذ جواهر اليهودية تماما وأعاد تفسيرها على اساس دين العقل، لذلك ألغى العلامة المميزة للشعب اليهودي، وهي(الختان)لكي يوضح ان الدين الجديد ليس له علاقة بالدين اليهودي.

---

[2]- المعقول واللامعقول في الأديان،محمد عثمان، 142.

الفيلسوف(هيجل):

وهو مسيحي يدافع عن اليهودية، ويسميها دين الجلالة، ولكنه يقول: (ان الإله عند اليهود إله قومي،فقد حصر نفسه في هذه الأمّة) أي ان هذا الإله غير كامل، وليس له من الشمولية ليشمل كل العالم وكل الأجيال، وإنما حكومته مخصوصة بشعب واحد، علما انه شعب أساء الى الرب، والأنبياء وقتل منهم الكثير، ومع ذلك فهو متعلق بهم ويرفض غيرهم على حد تعبيرهم.

ولو أردنا مقايسة مفهوم الدين والأخلاق عند كانت المتمثل بدين العقل والاخلاق والنية الباطنة وسعة مفهوم الرب، مع القران المجيد لوجدنا تطابقا كبيرا في المفاهيم ويكفي قول الرسول محمد(صل الله عليه وآله): (إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) فلم يدعي عدم وجود أخلاق أصلا، وإنما جاء متمما، ومصححا للقيم والنواميس الوضعية، بما يوافق العقل والمنطق السليم والإعتدال، قال تعالى(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و وجادلهم بالتي هي أحسن، ان ربك هو أعلم بمن ضن عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)وتجد ان الإسلام يقوي أواصر المحبة حتى مع غير المسلمين، حتى قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) : (الناس صنفان إمّا أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق).